الأبعاد الابستيمولوجية لأزمة كورونا (كوفيد 19)

Epistemological dimensions of the Corona crisis (Covid 19)

أحمد بوعمود[1*]،

[1] جامعة ابن خلدون ، تيارت ، (الجزائر) ،bouamoudahmed66@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/18 تاريخ القبول: 2021/05/31 تاريخ النشر: 05/ 06/ 2021

ملخص:

شـكلت جائحـة كورونـا (كوفيـد 19) هاجسـاً على مسـتوى الصحة البيولوجيـة والنفسـية والاجتماعية، علاوة على تأثيراتها على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي أدت إلى تعدد التأويلات والمواقف، حيث تهدف هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على تداعيات أزمة كورونا وبيان الأبعـاد الابسـتيمولوجية المترتبـة عنهـا، كأزمـة علميـة ونفسـية واجتماعيـة ذات دلالات عديـدة، أثـرت التأملات الفلسفية والأبحاث الابستيمولوجية، على أساس أن التحليل الابستيمولوجي يتخذ من أزمات العلم موضوعاً للدراسة والتحليل بهدف تعرية الأزمة ابستيمياً .

كلمات مفتاحية: أزمة كورونا، الأبعاد الابستيمولوجية، أزمات العلم، الفلسفة، تداعيات الجائحة.

Abstract:

The Corona pandemic (Covid 19) has been an obsession at the level of biological, psychological and social health, in addition to its effects on all economic, social and political levels, and it led to multiple interpretations and positions, as this research aims to identify the implications of the Corona crisis and clarify the epistemological dimensions resulting from it as a scientific and psychological crisis with many social connotations, philosophical reflections and epistemological research, on the basis that epistemological analysis takes science crises as a subject for study and analysis with the aim of exposing the crisis epistemically..

Keywords:

Corona crisis, Epistemological dimensions, crisis of science, philosophy, Repercussions of the pandemic

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

شـهدت البشـرية عبر مـر التـاريخ، العديـد مـن الأزمـات والمحـن والجـوائح بسـبب الكـوارث مثـل الفيضـانات والـزلازل والأوبئـة والأمـراض الفتاكـة كالطـاعون والسـل وغيرهـا، التي حلـت بالإنسـانية دون سابق انذار، فكان وقعها كبير على الإنسان، بالنظر إلى ما خلفته من آثار على المجتمعات، حيث فتكت

بحياة الملايين من البشر، وجعلت الإنسان يعيش في حالة من الرعب والقلق، خوفاً من فقدان الحياة أو الموت الأسود، كما يصفه لنا (سوزان سكوت) و(كريستوفر دنكان) من خلال مؤلفهما "عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور" كوصف لكارثة وباء الطاعون التي ألمت بأوروبا في القرون الوسطى حيث أودى بحياة نصف سكان أوروبا في ظرف ثلاث سنوات، وهو وصف يصدق في كثير من جوانبه على جائحة كورونا في زمننا الحاضر.

فحينما استفاقت البشرية مع نهاية سنة 2019 على وقع انتشار فيروس قاتل غير مرئي يهدد البشر دون تمييز، كانت ضحاياه الأولى بمدينة (وهان) الصينية، ومع اتساع رقعة انتشاره ليشمل مناطق عدة من العالم، تم الإعلان عن حالة الطوارئ لتصاب البشرية بحالة من الذعر والهلع أمام عجز الأطباء والعلماء في المختبرات العلمية عن ايجاد لقاح مضاد، رغم تشخيصه المبكر بأنه ينتمي إلى سلالة فيروسات كورونا عرف بـ (كوفيد 19)، وعلى الرغم من تسارع الهيئات العلمية ومنظمة الصحة العالمية، ورجال السياسة والمال، وتسخير كل الوسائل التقنية الحديثة لاحتواء الوضع، وايجاد العلاج المناسب والفعال، إلا أن أزمة الوباء طفت إلى السطح كأزمة بيولوجية « علمية » ، أمام عدم تمكن علماء المختبرات الطبية المتخصصة في مجال علم الفيروسات، عن توصيف الدواء أو اللقاح الفعال لعلاج المرض، رغم الأبحاث المتسارعة في معظم الدول المتطورة، ليعيش العالم في حالة أزمة طبية ونفسية واجتماعية وسياسية حقيقية أمام خطورة الفيروس .

والاشكالية التي تفرض نفسها بقوة في هذا السياق، تتمحور حول تحليل أزمة كورونا وتشريحها بمنظار ابستيمولوجي، وفقاً لمنطق ابستيمولوجيا الأزمات، بهدف تقديم قراءة ابستيمية نقدية متعددة الأبعاد، على أساس أن الابستيمولوجيا " تتناول بالدرس مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية "[1]، و تتخذ من أزمات العلم موضوعاً للدراسة والتحليل، لاستجلاء العوائق والعقبات المعرفية والمنهجية بمختلف أشكالها، التي حالت دون توصل العلوم البيولوجية والطبية لإيجاد حل لأزمة كورونا في عام 2021 ، رغم ما تشهده البشرية من تطور علمي وتكنولوجي ، ومنه يمكننا طرح الاشكالية التالية : ماهي الأبعاد الابستيمولوجية المترتبة عن جائحة كورونا كأزمة علمية، وماهي تداعياتها على الإنسان؟.

إن تحليل جائحة كورونا في مختبر الابستيولوجيا يجعلنا نتساءل عن الأبعاد الابستيمولوجية المترتبة عن أزمة كورونا (كوفيد 19) وعن تداعياتها في مختلف المجالات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، وذلك بافتراض بعض الفرضيات كحلول مقترحة، نعالج على ضوئها الاشكالية المطروحة، باعتماد التحليل الابستيمولوجي كدعامة أساسية، وذلك بتشريح القضية بكل تفاصيلها، حيث يمكن افتراض بأن جائحة كورونا في عام 2021 تمثل تعبيراً حقيقياً عن أزمة علمية طبية بيولوجية يعيشها العلم المعاصر، تستدعي التحليل الابستيمولوجي مادام أن الفلسفة تتدخل كلما عجز العلم عن تفسير قضاياه ليفتح المجال أمام المساءلة الابستيمية والتأويل الفلسفي الميتافيزيقي.

كما أن طبيعة الاشكالية تجعلنا نفترض بأنه رغم كل ما حققه العلم المعاصر من انجازات وتطور في مختلف المجالات، يجد نفسه عاجزاً عن ايجاد حل لأزمة كورونا ، باعتبارها أزمة ذات أوجه متعددة تستدعي تدخل مختلف العلوم والحقول المعرفية طبقاً لتشعب الظاهرة ،أو كما يسميها (بول ريكور) "بالأزمة المعممة "[2] التي كشفت عن ضعف المنظومة الصحية حتى لدى الدول المتطورة، وبالتالي يجب إعادة النظر في قضية التكفل بالبحث العلمي ومنحه الأولوية على حساب التسلح والتسابق في غزو الفضاء، واعداد المجتمع لمواجهة الأزمات ومختلف الكوارث.

أما عن الأهداف المتوخاة من الدراسة والبحث، فهي تروم إلى كشف اللثام عن طبيعة الظاهرة وتشريحها من كافة الجوانب لتحديد أسباب الإخفاق في فرض سيطرة العلم في ظل الأزمة، علاوة على إبراز دور التحليل الفلسفي والابستيمولوجي في مثل هذه الاشكاليات ، مع بيان أهمية العلاقة بين العلم والفلسفة كنمطين متميزين من التفكير ، والتأكيد على أن الأزمة بمفهومها العلمي والابستيمولوجي تبقى ذات أهمية بالغة في توجيه البحث العلمي، وإثارة انتباه العلماء والباحثين في كيفية التأسيس للعقل العلمي الفعال والمنتج أمام الأزمات والكوارث التي تعصف بالبشرية .

لتحليل ومعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التحليلي كضرورة منهجية تقتضيها طبيعة الموضوع مع توظيف المنهج النقدي لإثراء التحليل الابستيمولوجي، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي لبيان طبيعة الأزمة .

2.جائحة كورونا (كوفيد 19) بين التفسير العلمي والتأمل الفلسفي :

إن اسقاط التحليل الابستيمولوجي على الظاهرة الوبائية يجعل منها مادة للنظر العقلي والتحليل القائم على النظرة النقدية والشك المنهجي، من خلال تشريح الأزمة وفقاً لمنطق ابستيمولوجيا الأزمات، بطرح التساؤلات من كل النواحي، بهدف تعرية الظاهرة ابستيمياً عن طريق المساءلة الابستيمولوجية، بداية من الزاوية العلمية طبياً وبيولوجياً، وذلك بالتساؤل عن منشأ الفيروس، و عن أسباب تفشيه وخطورته، علاوة على معرفة مدى مقاومة الجسم الإنساني له، وهذا لا يتأتى إلا بتحديد طبيعته وصيغته الكيميائية، والوقوف على أسباب انتشاره السريع و المذهل، بشكل متميز ومختلف عن باقي الأمراض والأوبئة التي عرفتها البشرية على مر الزمن ، بالإضافة إلى ضرورة تحليل مختلف المواقف السياسية وجملة التأويلات الاقتصادية والاجتماعية وحتى النفسية، مع إبراز مواقف رجال الدين والفلاسفة، من خلال تأملاتهم الفلسفية والميتافيزيقية إزاء جائحة كورونا (كوفيد 19).

1.2 جائحة كورونا والتفسير العلمي (الطبي ، البيولوجي):

فيروس كورونا (كوفيد19) فيروس مستجد، تم اكتشافه لأول مرة في مختبرات مدينة (وهان) الصينية، في كانون الأول، ديسمبر 2019 [3]، هذا الفيروس الناشئ أو المستجد كان مرتبطاً بمرض تنفسي بشري حاد بنسبة 2 - 3 ٪ [4]، ومن أعراضه الاسهال والغثيان والقيئ وآلام البطن و الحمى

وفقدان الشهية وضيق التنفس[5]، كانت له تأثيرات مباشرة على الصحة البيولوجية، حيث تؤكد الأبحاث العلمية بأن (كوفيد 19) " يغزو الجهاز التنفسي للإنسان بحثاً عن حضن لتجديد نفسه، ويتسبب في أزمة اختناق تنفسي حاد بعد أيام من دخوله الرئتين" [6]، وهنا تكمن خطورته.

حيث فقدت الصين في الأيام الأولى من تفشي الفيروس العديد من الضحايا، ومع تزايد عدد الوفيات و عدد الاصابات بفعل الانتشار السريع للسلالة الجديدة من الفيروس، ففي غضون بضعة أشهر انتشر فيروس (كوفيد 19) في مئات البلدان وتسبب في وفاة الآلاف من البشر، مما دفع بمنظمة الصحة العالمية إلى إعلانه وباءً عالمياً،

كانت هناك حالات مماثلة في الماضي مع أوبئة السارس أو إنفلونزا الطيور والخنازير أو فيروس إيبولا لكنها بقيت مجرد ظواهر محلية في بعض المناطق المحددة، لا يمكن مقارنتها بالوباء الحالي، إذ تحولت حياة كل فرد وربما إلى الأبد إلى واقع ألغى ألفي عام من تاريخ البشرية " [7] ، وبإعلان حالة الطوارئ، وتسارع الدول إلى عملية الاغلاق، زادت الآثار والتداعيات، خاصة بعد فرض سياسة الحجر المنزلي والتباعد الاجتماعي، واتباع البروتوكول الصحي، على أمل الحد من خطورة تفشي الوباء .

إن التساؤل عن كيفية التعامل مع الظاهرة علمياً، من حيث التشخيص والتحليل البيولوجي المخبري للوباء العالمي بتوصيف خصائص الفيروس، وذلك بتحليل الأعراض المرضية الناجمة عنه بيولوجياً، ومعرفة مدى المقاومة الجسمية، ومدى استجابة آليات الدفاع الذاتية أمام فيروس كورونا المستجد باعتباره ظاهرة علمية بيولوجية، وأمام صعوبة البحث، وعدم التوصل إلى فك شفرة الفيروس، تعالت العديد من الأصوات " إنها المناسبة التي يجب أن نعترف فيها أن العلم ليس لائحة من المعارف النهائية، بل إن البحوث العلمية حركة تقترب من الحقيقة بعد كل كشف جديد. إن النظريات العلمية التي نسلم بصحتها هي مجرد دوغمائيات "[8]، وبالتالي الاعتراف بأنها أزمة علمية لها عدة أوجه.

علاوة على التساؤل عن كيفية تعامل المنظومة الصحية من الأطباء عامة والمختصين في أمراض الأوبئة خاصة مع الجائحة، وكيف سخرت المختبرات البيولوجية العالمية كل الامكانات التقنية والعلمية والبشرية، باتباع أفضل الطرق وأحدث التقنيات، على أمل تشخيص الفيروس تشخيصاً علمياً دقيقاً، بهدف التوصل إلى انتاج المضادات الحيوية الفعالة لتقوية المناعة البيولوجية في جسم الانسان، لمقاومة تأثيرات الفيروس أو القضاء عليه نهائياً، وتوصيف العلاج الفعال للوباء.

في هذا السياق سارعت أفضل المختبرات البيولوجية العالمية إلى دراسة الظاهرة دراسة علمية بهدف معرفة تركيب الفيروس وتحديد صيغته الكيميائية باتباع أحدث الطرق التقنية وبتكنولوجيا متطورة وإجراء التجارب السريرية، حيث شهد العالم سباق غير معهود بين المخابر البيولوجية العلمية على أمل تحقيق السبق المعرفي والتكنولوجي بالتوصل إلى اللقاح، أو المضاد الحيوي لتقوية المناعة الجسمية ، على الرغم من التوجيه السياسي وسيطرة القوى الاقتصادية في تمويل مشاريع المختبرات العلمية

بالأموال والمعدات، وهو في الحقيقة سبق سياسي واقتصادي لفرض الهيمنة الاقتصادية وتحقيق السيادة السياسية، هذه الخطوة تبرز تأثير العامل الاقتصادي والسياسي في توجيه البحث العلمي.

حيث تشير التقارير الصادرة عن منظمة الصحة العالمية إلى أن عدد الوفيات تجاوز ثلاث ملايين ونصف في العالم، كما حذرت من أن السياسة تعرقل جهود الكشف عن مصدر وباء (كوفيد 19)، مشددة على أن العلماء في حاجة إلى المساحة التي تمكنهم من أداء عملهم لحل اللغز، كما دعا المدير العام لبرنامج الطوارئ في المنظمة إلى فصل العلم عن السياسة، وحذر من " أن هذه العملية برمتها تتعرض للتسميم من السياسة"[9].

وبعد بحث مستمر وتجارب عديدة أعلنت بعض الشركات الممولة للمخابر العلمية البيولوجية عن التوصل في فترة وجيزة إلى لقاحات مضاد ة للفيروس بنسب متفاوتة من حيث الفعالية، وهذا يمثل سابقة في تاريخ البحث العلمي ، إلا أن الاعلان عن اللقاحات رافقته تحذيرات واسعة، تحذر من نسبة الفعالية، والتي لم تتجاوز نسبة 95 % ، وهنا بدأ الحديث عن الأعراض الناجمة عن التلقيح وعن مختلف التأثيرات الممكن حصولها بعد أخذ الجرعات الضرورية للقاح، مما جعل الإنسان ينزح إلى الشعور بالخوف من الأعراض المحتملة بعد أخذ الجرعة الأولى من اللقاح، ومن مرحلة ما بعد التلقيح. كما أن المختبرات كشفت أيضاً عن مسألة التحور الفيروسي أو تجديد الفيروس لنفسه، وطرحت مسألة فعالية اللقاح " تهدد الطفرات الحتمية لفيروس كورونا فعالية اللقاحات المستخدمة على نطاق واسع، وقد أظهرت الأبحاث بالفعل أن الأجسام المضادة التي ينتجها لقاحا (فايزر- بيونتك واسترا زينيكا) أقل فعالية بكثير ضد البديل المتحور من جنوب أفريقيا مقارنة بسلالات سارس السابقة - كوفيد-2. وقد أكد الباحثون أن الفيروس المتحور قد اخترق بالفعل وبشكل مقلق في بعض الحالات، حماية اللقاحات." [10].

يبدو أن تحور الفيروس المتجدد يطرح صعوبات جمة أمام الباحثين في المخابر العلمية وأثناء التجارب السريرية، حيث تبقى مسألة فعالية ونجاعة اللقاح تحت وصاية تحور الفيروس، وهي مسألة معقدة من الوجهة العلمية في إطار البحث العلمي، لأنها تطرح قضية حماية اللقاح من الفيروس المتحور، وما يسببه من نقص في آليات الدفاع الذاتي واختلال جهاز المناعة لدى المريض، مما زاد الشكوك في فعالية وجودة اللقاحات، وهنا تطرح مسألة النجاعة والجودة من جديد في ميدان البحث العلمي.

حيث يجب ألا يكون الهدف" توفير لقاحات تستهدف بروتينات فيروس كوفيد-19 الأقل تحوراً فحسب، بل يتطلب أيضًا أدوية لعلاج الأفراد المصابين. "تتطلب معالجة الفيروس نهجًا متعدد الجوانب بطريقة شمولية ليس فقط لامتلاك ترسانة للاستجابة مع تغير الفيروس بمرور الوقت، ولكن أيضًا الاعتراف بأن محاولة قتل شيء ليس على قيد الحياة حقًا مهمة صعبة للغاية " [11] .

هذه الوضعية فتحت المجال أمام مختلف العلوم لدراسة وبحث تشعبات الأزمة، على أساس تظافر وتكامل جميع العلوم لإدارة ومواجهة الأزمات والكوارث التي تلم بالإنسان، « أزمة كورونا » التي باتت

منذ أشهر مضت محور اهتمام الدارسين والباحثين في كل مجالات العلوم بشتى فروعها، كما أصبحت على رأس المتابعات والتحليلات، - ليس فقط ذات الطابع الطبي البحت، ولكن أيضًا المتابعات والتحليلات ذات الطابع الاجتماعي والإنساني- هي أزمة ذات انعكاسات إنسانية وأنثروبولوجية واجتماعية تَمس حياة البشر بشكل مباشر كمًّا وكيفًا؛ بل وتهدد تلك الحياة واستمراريتها [12].

خاصة بعد تعالي أصوات منددة بفشل المنظومات الصحية حتى في الدول المتقدمة، وبعجز البحث العلمي البيولوجي والطبي عن ايجاد حل للوضعية الوبائية، " لقد مثل انتصار فيروس كورونا على غالبية المنظومات الصحية في الوقاية والعلاج، هزيمة مدوية للتقدم العلمي في المجال البيولوجي وفشل ذريع للريادة الطبية للغرب، ولقد كشف هذا التحدي الفيروسي عن عيوب النظام العالمي وهشاشة السياسات الحيوية المتبعة، وفضح أنانية الرأسمالية وعبثها بسلامة الطبيعة، وتلويثها للبيئة، وافسادها للمحيط، وتصنيعها للأمراض، وتجريبها للأدوية وفرض تصديرها للشعوب الفقيرة "[13].

هذا يمثل محطة ابستيمولوجية مهمة أو لحظة تاريخية فارقة في تاريخ العلم عموماً وفي تاريخ الطب وعلم الفيروسات خصوصاً، وبالتالي لابد من التساؤل عن أسباب الاخفاق وتشخيص الصعوبات والعراقيل التي حالت دون التوصل إلى حل للوضعية الوبائية، لابد من الاعلان عن الأزمة بمفهومها العلمي، كأزمة تندرج ضمن أزمات العلم التي عرفها تاريخ العلم والتي أدت إلى بروز نماذج علمية جديدة بلغة (توماس كوهن)، إنها أزمة البيولوجيا أو أزمة العلوم الطبية مادام الطبيب المختص وعالم الفيروسات المتخصص عرضة لفقدان الحياة في أي لحظة، باعتبار أن خطورة كورونا هي الغالبة والمسيطرة، حيث " تميط كارثة ناجمة عن الوباء اللثام عن أزمة إبستيمولوجية بالحجم نفسه. وأطلقنا على المشكلة الثانية هذه اسم « إبستيمولوجيا الكوارث »، أي ضرورة التعلّم من كارثة تشكّل المعرفة نفسها إحدى ضحاياها "[14]، بمعنى التأكيد على طابع الأزمة المعرفي والعلمي والمنهجي .

لقد أماطت أزمة فيروس كورونا، أيضًا، اللثام عن صعوبات عديدة؛ أوّلها أنها بعد أن أثارت الممارسات الفعلية لإنتاج المعرفة اهتمام الجمهور، كشفت عن فجوات لا يُستهان بها بين النواتج المثالية والفعلية، وإكراهات القياسات الزمنية العلمية والحاجات الاجتماعية الفورية،[15] وهذا ما عبر عنه (جون جاك روسو) بقوله: " نقترب من وضع الأزمة وقرن الثورات "[16]

وعليه فاستدعاء الحضور الابستيمولوجي والتحليل النقدي من أجل المساءلة الابستيمية، والبحث عن منطق التجاوز، يمثل ضرورة معرفية ومنهجية لابد منها، وهذا ما عبر عنه (جون بياجيه) في كتابه (الابستيمولوجية التكوينية) بقوله : " إن التفكير الابستيمولوجي يولد دائماً بسبب أزمات هذا العلم أو ذاك، أزمات تنشأ بسبب خطأ في المناهج السابقة وتعالج باكتشاف مناهج جديدة "[17].

2.2 جائحة كورونا برؤية فلسفية ميتافيزيقية:

يرى فيلسوف العلم (برتراند راسل) أن قيمة الفلسفة تكمن في تساؤلاتها وعظمتها في اختلاف مواقفها، فهي " ذات أهمية بالغة في مجال الواقع وحل مشكلاته، فقد دعا إلى ضرورة إعطاء الفلسفة طابعاً علمياً، وأن تستقي معاييرها من علوم الطبيعة وليس من الميتافيزياء "[18]، ومنه نتساءل كيف قرأ الفلاسفة و المفكرين جائحة كورونا بعيداً عن اخفاقات النظرة العلمية، وكيف تم تأويل الأزمة فلسفياً؟، وماهي النظرة الفلسفية للتباعد الاجتماعي وسياسة الحظر والاغلاق، وماذا يمكن للفلسفة أن تقدم في مواجهة الأزمة الصحية؟، التي تعتبر أزمة ذات أوجه متعددة .

أسئلة ذات أهمية تثري تأملات الفلاسفة والباحثين، أمام الانتشار المذهل للوباء العالمي، حيث ساد الخوف من الموت المحقق، مع العلم أن الفيروس المتحور لا يميز بين الناس، ومع فرض سياسة الحجر والإغلاق، بدأت تبرز تداعيات الجائحة على المستوى النفسي، وتدهورت العلاقات الاجتماعية، مع ظهور بوادر الأزمة الاقتصادية حتى في الدول المصنعة، وبدأ الانسان يفقد الثقة في المنظومة العلمية خاصة في مجالي الطب والبيولوجيا كأساس للمنظومة الصحية.

حيث راح يتساءل عن قيمة العلم في عصر التطور العلمي والثورة الصناعية الرابعة ، فكان الذهول أكبر وأعمق " بعد الحرب العالميتين أُطلق العنان لقوة العلم، وأضحى العلم «إله العصر» الذي يخلص البشرية من كل الأزمات والعقبات، وهو الكفيل بتفسير كل مبهم، لكن هذا التوصيف والتأله للعلم أثبت عجزه في كثير المحطات التاريخية التي مرت بالإنسان، والحضارة الغربية، بما فيها الأزمة البيولوجية الحالية أزمة كورونا ومن هنا تثار مجدداً الجدلية الأزلية بين قدرة الفلسفة مقابل قدرة العلم على تقديم تفسيرات يتقبلها منطق الفكر "[19].

ليتجدد الحديث عن دور الفلسفة كفكر حر، قوامه التساؤل والنقد لتحرير العقل من كل القيود التي تكبله وتجعله أسيراً لنماذج علمية، أو لمنظومة فكرية معينة، حيث تفشّت لدى الجمهور نظرة محدودة إلى العلوم، تستند في حكمها إلى ما حدث من تدهور للتوصيف والشرح والتنبؤ والسيطرة. وعوضًا عن نظرة إلى الحداثة باعتبارها توفر حماية وازدهار أكبر عن طريق تسخير العلوم والتكنولوجيا، نجد أنفسنا نسبح، أو ربما نغرق، في بحر من الخطابات. وبدلً من تأكيد ضمني لقدرة الإنسان على إتقان التعامل مع انتظام الطبيعة، بات المجتمع أشبه بسفينة مثقوبة تجنح إلى أفق مظلم. [20] .

نتج عن ذلك حالة من القلق والشك في قدرة المعارف والنماذج العلمية السائدة والتكنولوجيات المتوفرة، في معالجة الأزمة، عندما يواجه العالم واقعًا يتجاوزه، وحينما تكون حياة البشر على المحك، " تظهر الأسئلة الفلسفية مرة أخرى. لذا، تجبرنا مرحلة الخوف هذه والذعر والقلق إلى إعادة التفكير في صلب حياتنا اليومية. التساؤل الذي يطرح نفسه في مثل هذا الموقف هو يوميات الفلاسفة الذين، على الأقل منذ 2500 سنة، يستجوبون العالم، يندهشون، ويحرصون على إيجاد إجابات في العلم "[21].

يؤكد فلاسفة اليونان وعلى رأسهم (أفلاطون) أن الدهشة أم الفلسفة ومنبعها الخصب، فهي أساس التساؤل الفلسفي ومصدر القلق المعرفي لدى الفيلسوف، لأن هدف الفلسفة الإجابة عن كيفية العيش؟ أو أسلوب فن العيش، مع اتخاذ الفلسفة كطريقة للعيش ومنهج في التفكير، فالتفلسف ملازم للوجود الإنساني، " للاشتغال بالفلسفة، يجب ألا نعاني أبداً من النبوءات المتشائمة (...) الفلسفة موجودة لجعل الناس يدركون أن المستقبل مفتوح، وأن أكثر إبداعات الإنسان إثارة للإعجاب لها حدودها، مما يزيد من الشعور بمسؤوليتها أمام كل موقف ملموس جديد" [22].

ليفتح المجال أمام مختلف التصورات التي يمكنها أن تعلل الجائحة أو تفسر الأزمة الناتجة عن الفيروس المستجد، "مع اشتداد أزمة فيروس كوفيد-19 في دول العالم، لم يتوجه العقل الغربي إلى قداسة البابا بحثًا عن "حلول السماء"، وإنما استنطق عقول فلاسفته وكبار منظريه، في محاولة لفهم الظاهرة واستقرائها داخل سياقاتها التاريخية والسياسية والاقتصادية، وتوقع ما سيكون عليه العالم، في فترة ما بعد الجائحة "[23]

إن الدعوة الصريحة إلى توظيف العقل الفلسفي لها عدة دلالات، فمن جهة ايمان الانسان بقدرة العقل البناء على التفكير الجاد في ايجاد الحلول لمختلف المسائل العلمية، من خلال إعادة صياغتها بطريقة ابستيمولوجية، تكشف عن معوقات البحث، خاصة أمام عجز الأبحاث العلمية المتعددة عن ايجاد حل لأزمة كورونا، "حيث تعكس النظريات الفلسفية نتائج الاكتشافات العلمية وليس العكس، فإذا صحح العلم تغير، وبتغيره يتغير العقل العلمي مما يحول العقل النظري نحو مشكلات فلسفية جديدة، وهذا معنى التحولات الابستيمولوجية المعرفية "[24] .

لقد بات من الضروري اللجوء إلى الفكر الفلسفي الحر القائم على التأمل والرؤية النقدية البناءة صوب مختلف القضايا، بما فيها الأزمات والكوارث والجوائح، لأن الحضور الفلسفي ظل قائماً صوب المعرفة العلمية منذ القدم ، " لقد ترك لنا الفلاسفة تأملات نقدية حول الأوبئة والجوائح أثناء المجاعات والحروب وخاصة عند تفشي الطاعون وظهور الأمراض المعدية ومعايشة الناس وضعيات قصوى على غرار استفحال الأمراض والموت والعنف والانتحار والبطالة والعوز والعطش والزلازل والأعاصير والأزمات الاقتصادية ووثقوا عبر الأزمنة المختلفة مثل هذه النوائب وصمدوا في وجه المصائب والتزموا بالصبر والحكمة والتعقل "[25].

وإذا أردنا أن لا نستثني العقل الفلسفي الاسلامي من ذلك بحكم الانتماء، وقيمة الأفكار التي تفرض نفسها في مجال محاربة الجوائح، وكيفية التعامل مع الكوارث خاصة أزمات الأوبئة، بالنظر لما تزهر به المؤلفات التي خلفها الفكر الاسلامي، والتي تبقى مادة خام في حاجة إلى دراسة وتحقيق وتحليل مضامينها، بهدف الكشف عن قيمتها في عصر يعرف الكوارث والجوائح " تستحق مؤلفات الطب والتاريخ العربي المخصصة للأوبئة وأخبارها وسبل التحرّز منها أن نخصص لها ما تستحقّه من اهتمام أكاديمي، لكي تحلّل وتدرس مضامينها لتثري معرفتنا التاريخية، خاصة على ضوء التنبيه المؤلم الذي

عرضنا إليه مرض فيروس كورونا في الأشهر الأخيرة، فأنبأنا بضرورة الاهتمام بأدبيات الأوبئة، لأنها قد تفيدنا في مواجهة كوارث قادمة " [26]

" والحق أن العقل الغربي قد بادر الى التفكير في الظاهرة الطارئة بغزارة عن طريق مؤسساته البحثية ونخبه الجامعية وكوادره العلمية، بينما ظل العقل العربي والاسلامي رهين الاشارات الماورائية والسلطوية، وعاجز عن افتكاك زمام المبادرة وتوجيه الأمر الجلل نحو ساحة العقل واجراء حركات فكرية حاسمة "[27] ، على الرغم من أن أزمة كورونا أزمة شاملة ذات أبعاد وتداعيات على حياة الفرد النفسية والاجتماعية، ناهيك عن الحياة السياسية والاقتصادية، ورغم كل التأثيرات يبقى العقل العربي محكم بالجمود وعدم المبادرة في مثل هذه الأزمات، " بيد أن الأديان التوحيدية والحكم التقليدية قد تكون ساهمت في عمل التصدي للجائحة بما توفره من مخزون روحي وقواعد ايتيقية تشجع على الصبر والتحمل وتشحذ العزائم وتقوي الارادات وتفسر ظاهرة الابتلاء "[28]. فمن الضروريات في الاسلام الحفاظ على النفس بأخذ الاحتياطات وجملة التدابير الوقائية والأخذ بجميع الأسباب، مع كثرة الدعاء والتضرع لله برفع الوباء والبلاء .

هنا يمكننا التساؤل عن الموقف الفلسفي الأصيل من الجائحة المستجدة؟ من خلال التشكيك في قيمة وجدوى النظر العقلي، فهل بقي وقت للنظر العقلي والتأمل الباطني والمعرفة المجردة؟ ، أليس الحري هو التوجه نحو الممارسة الميدانية والتجربة العلمية والعمل الطوعي والاقتراب من الناس والنزول من البرج العاجي وايثار الغير؟ ومتى تتحول فلسفة الصحة والفلسفة الطبية والايتيقا العلاجية والسياسة الحيوية الى مقصد أسمى للتفلسف؟ وما قيمة الأقوال الفلسفية والحكم العملية في فهم الظاهرة ومقاومة الكارثة ومعالجة أسقام الوضع المأزوم " [29]

"يرى (جاك أتالي)، المنظر والسياسي الفرنسي، أن الإفلات من أكبر موجة عالمية في التاريخ والخروج من الكابوس الذي يتمكن من العالم، يبقيان رهينين بالانتقال من "اقتصاد البقاء إلى اقتصاد الحياة"، لأن الاطمئنان إلى "اقتصاد البقاء"، حسب قوله، لن يخرج العالم من أزمة كورونا." [30]

"ويشاركه هذه الرؤية الفيلسوف (إدغار موران) الذي هاجم في مقابلة مع صحيفة (لوموند) العقيدة الليبرالية و"الهوس بالربح"، يقول إنه المسؤول في المقام الأول عن "خضوع النظام الصحي لمنطق الأعمال وعن إفقار ذلك النظام. كما دعا إلى بلورة "مسار سياسي إيكولوجي اقتصادي اجتماعي جديد تحكمه نزعة إنسانية متجددة"، بمجرد انتهاء الجائحة"[31]، وهي دعوة صريحة إلى إعادة النظر في المنظومة الصحية وآلياتها مع ضرورة إضفاء الطابع الانساني كضرورة لحماية الانسان من كل أشكال الاستغلال التي تسلب قواه وجهوده في كافة المجالات.

هذا ما يؤكده الابستيمولوجي (إدغار موران) بقوله "هذه الأزمة تدفعنا إلى التساؤل عن أسلوب حياتنا، وعن احتياجاتنا الحقيقية المتوارية خلف أشكال اغتراب الحياة اليومية "[32]، ويعلل الاخفاق

الحاصل في كيفيات التعامل مع الجائحة بأن السباق من أجل الربحية وكذلك أوجه القصور في طريقة تفكيرنا هي المسؤولة عن عدد لا يحصى من الكوارث البشرية التي تسببها جائحة كوفيد 19"[33].

3 تداعيات جائحة كورونا بنظرة ابستيمولوجية:

أثّرت العديد من الأوبئة منذ القدم (الطاعون، والجذري، والملاريا، والكوليرا، والإنفلونزا الإسبانية...، وغيرها) على الحضارات الانسانية، " فكان للعديد منها تداعيات كبيرة على المجتمعات، بدايةً من العدد الكبير للوفيات التي خلفتها، وصولاً إلى جعل البشر يفكرون بشكل أعمق في الوجود البشري. ففي الوقت الذي خطت البشرية ولاسيما الدول المتقدمة، خطوات متسارعة نحو التقدم والرقي في عدة مجالات، ظهر فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) ليُحدث اضطرابات واختلالات على مستوى جميع دول العالم -بتفاوت- فهذه الظاهرة الخفية طالت جميع الأنساق الدولية في بنيتها المادية والوظيفية، وأثّرت على السلوكيات والأنشطة اليومية الروتينية للإنسان ، الذهاب للعمل، الدراسة، التفاعلات الاجتماعية [34].

كما طرحت مسألة أخلاقية العلم و المعرفة على أساس توجيه العلم وتوظيفه ضد الإنسان، خاصة بعد ترويج فرضية تصنيع الفيروس وبالتالي القول بنظرية المؤامرة "" إنها الأزمة الراهنة للعلم هي أزمة أخلاقية - معرفية بجوهرها – فنحن لا يمكننا ابستيمولوجيا فصل المعرفة عن الأخلاق " [35]، بالنظر إلى تأثيرات الجائحة على كافة المستويات، مع استغلال الوضع من قبل فئة معينة لتحقيق أهدافها، " إن تداعيات الأزمة عميقة وممتدة اقتصاديًا وبشريًا، مما يدفع باتجاه تكاتف مجالات العلوم المتباينة وتعاونها، خصوصًا أن الفيروس غير منحاز لأحد في حربه لا طبقياً ولا قومياً ولا دينياً، مما يجعله عدواً للجميع، وهو ما يتطلب طرح التحديات بشكل واضح وتفنيدها " [36]

3 .1 الآثار السياسية والاقتصادية بالمنظور الابستيمولوجي:

إن تعقيدات أزمة كورونا وآثارها المتعددة التي مست كل الجوانب الحياتية، جعلت البعض ينظر إليها على أنها أزمة تتجاوز الجوانب الصحية، لتمثل حرب بيولوجية قائمة على تصنيع الفيروسات ونشرها، لإحداث أزمات ذات تأثير واسع، خاصة على الجانب الاقتصادي بهدف السيطرة على الاقتصاد العالمي، ويتجلى هذا من خلال التنافس الاقتصادي بين جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة ، بهدف الاستحواذ على الأسواق التجارية العالمية، وفرض الهيمنة، حيث " تعد جائحة كورونا (كوفيد 19) أحدث الأوبئة التي شهدها العالم في شهر ديسمبر من عام 2019، والتي خلفت آثاراً على الجوانب الصحية والاجتماعية والنفسية الاقتصادية والسياسية، إذ عدها البعض حرب بيولوجية بين الدول الكبرى في العالم، أو بالإرهاب البيولوجي كما وصفها " فرنسيس بويل"[37] .

علاوة على أن تعدد الآثار الناجمة عن الجائحة وعن سياسات الإغلاق، وجملة التدابير الصحية المتخذة من قبل الدول، جعلت منها كارثة إنسانية، "إن جائحة كورونا أكبر من أن تنحصر في أزمة

صحية، فهي كارثة إنسانية، تؤدي إلى تغيرات وتحولات، هاجمت قلب المجتمعات واقتصاداتها، وتشير الأدلة المبكرة بالفعل إلى أن الفقراء والفئات المحرومة هم الذين يتكبدون بشكل أكبر، عبء الآثار الاجتماعية والصحية والاقتصادية للفيروس في جميع أنحاء العالم، مما يستوجب وضع تدابير سياستيه علاجية عاجلة وفعالة [38].

هذا تأكيد على أن أزمة كورونا أزمة متعددة الأوجه، فتحت المجال للتأويل والتنظير، سواء من الناحية الاقتصادية أو من حيث الفعل السياسي والأيديولوجية المعتمدة في تسيير الأزمة، بل حتى من جهة التوظيف البراغماتي، لتحقيق مصالح وأهداف ذاتية على حساب الآخر، هذه التوجهات تدعو إلى ضرورة إعادة النظر في الكثير من الممارسات التي أثبتت عدم فعاليتها في تسيير الأزمة.

حيث بات لزاماً من الحضور الابستيمولوجي والرؤية النقدية البناءة لطرح التساؤلات صوب علاقة العلم بالسياسة، واتجاه التنظيم السياسي والاقتصادي، بهدف ايجاد رؤية سياسية واقتصادية، تخدم الانسان ككل بغض النظر عن المصالح الضيقة والمنفعة الذاتية، مادام أن الأزمة تمثل تهديداً حقيقياً للوجود الإنساني دون تمييز، مع العلم أن تقارير منظمة الصحة العالمية حذرت في العديد من المرات من ربط البحث العلمي بالتوجهات السياسة التي تعرقل أداء العلماء .

أدت جائحة كورونا - واقع الأزمة - إلى تعدد التأويلات وتباين المواقف وتضارب التصريحات ،حول عدد الوفيات وإجمالي عدد الإصابات، وأصبحت مادة دسمة للصحافة العالمية، خاصة بعد تبادل التهم بين الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين الشعبية حول مصدر ومنشأ الفيروس. حيث رجح البعض فرضية تصنيع الفيروس وتسريبه " وتعالت على إثرها حدة اللهجات خاصة أرقام وإحصائيات أزمة كورونا الحديثة، وتداعياتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم، بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، بتبادل التهم بينهما، لاسيما أمريكا التي اعتبرت الصين الضالعة في تصنيع الفيروس لمواجهة اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية وإضعافه، والأمر نفسه شددت عليه الصين[39].

لتبرز نظرية المؤامرة، والتسابق لتصنيع لقاحات الفيروس ، التي من شأنها أن تؤدي إلى بسط سطوتها على سوق الأدوية في العالم، وتنعش اقتصاداتها التي بدأت تتداعى وتعرضت للركود نتاج الجائحة؛ فقد استطاعت (الصين) تجاوز الأزمة وبخسائر أقل على عكس الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تزال تحتكر المشهد الصحي بآلاف الإصابات ومئات الوفيات يومياً "[40].

هذا الوضع يكشف عن محطة ابستيمولوجية مهمة في تاريخ الفكر البشري أو لحظة ابستيمية غنية بالتساؤلات -وضع المنظومة المعرفية على المحك -بالنظر إلى طبيعة الظاهرة المستجدة، وما ترتب عنها من تأثيرات عديدة، شملت كل مناحي الحياة الانسانية، سواء تعلق الأمر بالصحة البيولوجية أو النفسية أو الاجتماعية أو الجوانب الاقتصادية والسياسية، خاصة مع تعدد الآراء والتأويلات، وتوتر العلاقات بين الدول الكبرى وتباين الاتهامات، ليمتزج الطرح العلمي مع الطرح السياسي والأيديولوجي.

"منذ القدم والعقل البشري يميل الى تصديق نظريات المؤامرة، وما انتشار فيروس كوفيد- 19 في العالم أجمع، إلا تجسيد لهذه النظرية، حيث انقسم العالم بين من يرى هذا الفيروس خطراً حقيقياً ومن يراه سلاحاً بيولوجياً، ومن يراه مجرد كذبة ووهم ولعبة تحكمها نظرية المؤامرة. في الواقع من حيث المبدأ تبدو فرضية المؤامرة منطقية، ولكن المنطق ذاته يحكم نظرية المؤامرة القائمة على وجود الطرف المستفيد من الجائحة"[41]

في المقابل يسيطر الهلع على البشرية من شدة الخوف من الموت أمام سرعة الانتشار الرهيبة للفيروس وتزايد عدد الضحايا دون تمييز لا في المكان والزمان، لا في اللون و الجنس، ولا بين الغني والفقير، ولا بين الطبيب والمريض، حيث " انتقد الفيلسوف واللغوي الأمريكي (نعوم تشومسكي) بشدة طريقة تعامل الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب) مع الوباء، مؤكداً أن "ما فعله بمنظمة الصحة العالمية يعد جريمة حقيقية"[42]. و أن الدرس الكبير الأول المستفاد من الجائحة الحالية هو أننا نواجه "خطأ فادحًا آخر للرأسمالية النيوليبرالية" والذي - في حالة الولايات المتحدة - يتفاقم بفعل طبيعة (المرضى النفسيين الذين يقودون الحكومة) برئاسة (دونالد ترامب) من منزله في (توكسون- أريزونا)، بعيدًا عن مكتبه في معهد (ماساتشوستس للتكنولوجيا)، يفحص (تشومسكي) - في مقابلة مع إيفي - عواقب الفيروس الذي يوضح كيف لطالما كانت الحكومات هي "المشكلة وليس الحلول الاجتماعية " [43]

واعتبر (أونفري) أن "الاقتصاد الليبرالي جعل من الربح غاية جميع السياسات ومنتهاها، وتساءل لماذا ننتج أقنعة و نخزنها؟، معتبراً أن ذلك جعل الخدمات الصحية حكراً على الأثرياء الذي يستطيعون توفير الأموال للتمتع بها.

في مقابل تلك المقاربات ينتقد (أندريه كومبت-سبونفيل) الرؤية السائدة في فرنسا التي تعلي من شأن الصحة على حساب الحرية، ويعبر عن خشيته أن "يحل النظام الصحي محل النظام الأخلاقي"، وأن يغرق الجميع في منطق "الصحيح صحياً " كما غرقنا سابقاً في منطق "الصحيح سياسياً "، وينقل (أندريه كومبت-سبونفيل) عن الفيلسوف (ميشيل دو مونتين)قوله إن "الصحة تمثل ميزة، وربما حتى ميزة عليا، ولكنها ليست قيمة يجب أن تنظم مجتمعاتنا وقراراتنا السياسية " [44].

إن المساءلة الابستيمولوجية لأزمة كورونا من زاوية اقتصادية وسياسية ، تؤول إلى إعادة النظر في المنظومة الاقتصادية وسياستها خاصة بعد تسجيل نسب عالية من الركود الاقتصادي، وفقدان العديد من الوظائف، مما أدى إلى ايجاد صعوبة في توفير الحاجيات " وباعتبارها أزمة اقتصادية، فإنها تزعزع كل الدوغمائيات الموجهة للاقتصاد وتهدد مستقبلنا بمظاهر الفوضى والنقص. وباعتبارها أزمة الدولة الوطنية، فإنها تكشف الخلل في سياسة أعطت الأولوية لرأس المال على حساب العمل، وضحت بالاحتياط والوقاية من أجل مزيد من المردودية والتنافسية." [45]

2 .3 الآثار النفسية والاجتماعية بالمنظور الابستيمولوجي :

إن الطابع الشمولي لتأثيرات أزمة كورونا التي مست طبيعة العلاقات الاجتماعية وطرحت مسألة القيم الأخلاقية والاجتماعية بين الأفراد والمجتمعات خاصة مع فرض سياسة الإغلاق والتباعد الاجتماعي بحجة حماية الانسان من الاصابة بالفيروس، هذا الوضع طرح مسائل وقضايا جديدة تتعلق بطبيعة القيم السائدة ومدى قدرتها على التكيف مع الأوضاع الجديدة التي فرضتها جائحة كورونا.

لقد مثل هذا الوضع الجديد محطة للتساؤل وإعادة النظر في كيفية مواجهة الكوارث والجوائح التي تعصف بالإنسان ومدى قدرة المجتمعات على التكيف مع المستجدات والمتغيرات التي تنتجها الأزمات والكوارث " وفي حقيقة الأمر، إن الأسئلة التي فرضها (كوفيد 19) على كل مظاهر الحياة وعلى المستقبل أسئلة صعبة ومعقدة، وإجاباتها ليست مؤكدة " [46].

إن تعدد مظاهر وتداعيات الجائحة فرض تعدد التساؤلات وتنوع الأبحاث ، ودعا إلى ضرورة تكامل العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والاجتماعية ، " باعتبارها أزمة اجتماعية، فإنها تضع تحت ضوء ساطع أشكال التفاوت بين فقراء العالم الذين يعيشون في مساكن ضيقة تضم الأبناء والآباء والأجداد، وبين أثريائه الذين يجدون في منتجعاتهم الريفية الرفاهية والسلامة. وباعتبارها أزمة حضارية، فإنها تدفعنا إلى الوقوف على غياب التضامن و هيمنة مظاهر التسمم الاستهلاكي التي طورتها حضارتنا، وهي بذلك تدفعنا إلى التفكير في سياسة الحضارة "[47]

حيث تناول (محمود عزت عبد الحافظ)، في مقاله بعنوان: « تفشي فيروس كورونا.. بين المؤامرة والتعاون الدولي » موضوع كورونا من زاوية المؤامرة والتعاون، مادامت فكرة المؤامرة سيطرت على العقول منذ الأيام لإعلان وباء كورونا وأدت إلى التساؤل" فقد اختار أحد الأسئلة بالغة الصعوبة، وهي مسألة المؤامرة والتعاون الدولي، وقضية المؤامرة بالذات هي أحد المحاور الرئيسية التي شغلت الكواليس والرأي العام منذ الأسابيع الأولى للأزمة، وهي أيضًا الشماعة التي يستخدمها البشر للتهرب من مسؤولية الإخفاق وعدم القدرة على التعايش والمواجهة " [48]

أما عن الجوانب النفسية لقد عاشت البشرية في ظل جائحة كورونا صدمات نفسية عنيفة هزت كيان الانسان وجعلته يعيش في حالة من الرعب والخوف من الاصابة بالفيروس والخوف من الموت الحتمي ، لقد كشف تقرير صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي موسوم بـ : "الإغلاق هو أكبر تجربة نفسية للعالم... وسندفع الثمن". عن أن العالم اليوم يعيش أكبر اختبار نفسي على الإطلاق، وأكد التقرير أن أزمة كورونا ستظهر تداعياتها النفسية على العديد من السكان ، حيث سيواجهون العديد من المشاكل النفسية المتعلقة بالغضب والقلق بسبب عزلهم في المنازل وأنه لا يمكن الخروج من هذه الحالة النفسية إلا من خلال اهتمام الحكومات بالدعم النفسي للسكان خلال الأزمات وليس الاكتفاء بمعالجتها بعد الكوارث[49]

ارتبطت الضغوطات النفسية هذه السنة بظهور فيروس كورونا المستجد وما خلفه من خوف وهلع وقلق لدى كل الفئات العمرية المختلفة بين الناس، وبالتحديد لدى العاملين بقطاع الصحة أو الذين لديهم علاقة مباشرة بالمرضى والمصابين بالفيروس، خاصة مع غرابة الظاهرة وعدم تفسيرها تفسيراً علمياً، فهي ظاهرة وبائية غريبة في تشخيصها وطرق وأساليب التعامل معها، بفعل تعدد الرؤى والتأويلات وتباين الاتهامات حول فرضية تصنيع الفيروس لأسباب سياسية واقتصادية بهدف السيطرة على الاقتصاد العالمي والقرار السياسي وتحقيق الزعامة.

حيث ارتسمت صورة سوداء قاتمة بمعنى الكلمة أمام الانسان، لأن الفاجعة أكبر من كل الرؤى والتصورات، وكأنها ميلاد النهاية أو نهاية البشرية، ومما زاد الصورة قتامة وحزناً ، حينما أصبح الأخ ينفر من أخية خشية نقل العدوى ، وحينما أصبح الابن ينفر من أبيه خوفاً من الاصابة بالفيروس، فساد نظام جديد من العلاقات بين البشر لم يتنبأ به أعظم المفكرين الاجتماعين، بل حتى أعظم الفلاسفة والباحثين ولم يصوره حتى خيال الشعراء والأدباء .

فمنذ بداية الاعلان عن الجائحة، ازدادت الضغوطات والصدمات النفسية على الأفراد، خاصة بعد فرض سياسة الاغلاق والتباعد الاجتماعي، حيث عاش الناس حالات نفسية بل أزمات نفسية رهيبة بفعل شدة القلق والتوتر المتزايد بفعل استطالة عمر الأزمة، التي نتج عنها فقدان العديد من الوظائف، وايجاد صعوبة في توفير متطلبات الحياة، وكلما طال عمر الأزمة ازداد الضغط النفسي حدة بفعل القلق المتزايد مع ارتفاع معدل الخوف والغضب والضغط الدموي وتزايد الحالات الانفعالية.

أين أصبحت الصحة النفسية رهينة بين تفاقم أزمة كورونا وتشديد سياسة الاغلاق والحجر المنزلي، وصعوبة توفير الحاجيات الضرورية ، كما أن تعدد أعراض الضغوطات النفسية يؤثر بصورة مباشرة على أداء الجهاز المناعي لدى الفرد، وبالتالي ضعف المقاومة الجسمية للأمراض وعجز آليات الدفاع الذاتية، وهذا ما يجعل الفرد عرضة للإصابة بفيروس كورونا أو غيرها من الأمراض.

إن الشعور بمثل هذه الحالات التي تنتاب الانسان يزيد من حدة الضغط النفسي، فلقد أشارت العديد من التقارير النفسية الصادرة عن المختصين النفسانيين أن طول هذه الجائحة بما يرافقها من تداعيات يؤدي إلى ضغوطات نفسية كبيرة، وبالتالي تدهور الصحة النفسية، لتشكل بذلك هاجساً لدى علماء النفس والاجتماع من جهة البحث عن طرق التكفل النفسي وكيفيات المعالجة النفسية لتجاوز التداعيات النفسية الناتجة عن الضغوطات التي تؤثر على التوازن النفسي للفرد.

أما على المستوى الاجتماعي بدأ التفكير في ايجاد آليات للتكيف مع المستجدات التي أدت إلى توتر العلاقات الاجتماعية بسبب الأنماط السلوكية الجديدة التي فرضتها جائحة كورونا، مما أستدعى الحضور الابستيمولوجي كضرورة ملحة لتخصيب الفكر الاجتماعي نحو الفعالية والانتاج، لإبداع قيم ونماذج جديدة من العلاقات من شأنها خلق التعايش بين الأفراد في مواجهة الأزمات .

4. خاتمة:

إن التفكير في ايجاد آليات للتعامل مع الواقع الجديد الذي خلّفته تداعيات أزمة كورونا، تبقى ضرورة ملحة سواء على مستوى العلوم الطبية أو علوم الفيروسات والمختبرات العلمية أو على مستوى مختلف العلوم الطبيعية أو العلوم الانسانية والاجتماعية ، مع ضرورة استدعاء الفكر الفلسفي النقدي، وتوظيف التحليل الابستيمولوجي، لتعرية الأزمة من كل جوانبها، بهدف التشخيص والوقوف على الجوانب الخفية من الأزمة، ومن هنا تأتي أهمية المعالجات والدراسات الاجتماعية والاستراتيجية؛ فهي لا تقل أهمية عن الدراسات الطبية المحضة، التي تحاول وضع حل علمي، باكتشاف لقاح ينهي انتشار الفيروس وخطورته على حياة البشر وبقاء المجتمعات على حد سواء. إلا أن الحلول «العلمية » ليست حكرًا على العلوم الطبية والكيميائية التي تسعى جاهدة لوضع حد للفيروس، بحجة أن العلوم مترابطة ومتكاملة - التكامل المعرفي - لا يمكن الفصل بينها، أو تمييز علم على آخر، بدعوى أن الأول يضع حلو ل جذرية للمشكلة، بينما الثاني يعالج الآثار المترتبة عليها. فكل فرع من فروع المعرفة مطالب بمشاركة فعالة لوضع حلول للأزمات المختلفة. تطبيقاً لقاعدة تكامل العلوم والمعارف وتجانسها.

إن النتائج المستخلصة من تحليل الاشكالية وتعرية الأزمة من جوانبها الخفية، تتمثل فيما يلي:

- تمثل أزمة كورونا أزمة علمية من أزمات العلم، أزمة طبية بيولوجية بامتياز دعت العقل العلمي إلى توظيف كل قدراته المعرفية والمنهجية والتكنولوجية في سبيل ايجاد حل، وتوظيف منطق التجاوز بالمفهوم الابستيمولوجي لتجاوز الأزمة، باعتبار أن تاريخ العلم تاريخ أزمات على حد تعبير (غاستون باشلار) و(توماس كوهن)، لقد كشف التطور العلمي أن الإنسان غير قادر على تحصيل الحقائق بشكل يمكنه من التحكم فيها ، فالأشياء لا تحدث وفق نظام قار راسخ أو مطلق وحتمية شاملة "[50]

- إن تحليل الأزمة بهدف تجاوزها أو إحداث قطيعة ابستيمولوجية، يفرض تكامل العلوم الطبيعية والانسانية والاجتماعية على أساس أن أزمة كورونا أزمة معممة، كانت لها تداعيات على كافة المجالات، علاوة على ضرورة استدعاء الحضور الابستيمولوجي، مادام التحليل الابستيمولوجي حفر في عمق الأزمة للكشف عن العقبات والعوائق التي تعترض البحث العلمي.

- أدت أزمة كورونا إلى طرح العديد من القضايا تبعاً لتداعياتها وتأثيراتها، حيث دعت إلى إعادة النظر في مشكلة القيم على المستوى الأخلاقي والاجتماعي، والتفكير في ضرورة ابداع قيم جديدة تساعد الانسان في التعامل والتكيف مع الأزمات والكوارث بهدف إداراتها ومواجهتها.

- تمثل أزمة كورونا محطة ابستيمولوجية مهمة في تاريخ الفكر العلمي والفلسفي والابستيمولوجي لأنها دعت إلى توظيف العقل الفعال سواء من الزاوية النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وحتى السياسية مادامت أنها كشفت عن قصور الآليات القائمة في مواجهة جائحة مستجدة.

- كشفت عن مدى جاهزية العقل العلمي، رغم ما يشهده القرن الحالي من تطور علمي هائل، في مواجهة الأزمات والكوارث التي تحل بالبشرية دون سابق إنذار، سواء تعلق الأمر بالمنظومة الصحية أو الصيدلانية أو فعالية المنظومة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مجابهة الجائحة.

- تمثل أزمة كورونا لحظة تساؤل مهمة في تاريخ الفكر البشري، لأنها استدعت كل العلوم والمعارف لإعادة النظر في طبيعة الانتاج العلمي الحاصل ومدى قدرته على التكيف مع الأزمات، ومعالجتها من كافة الجوانب بحكم التشابك والتعقد، أو على حد تعبير (إدغار موران) " كشفت أزمة جائحة كورونا عن تعقّد الوجود الإنساني، وارتباط مجالات نشاطاته. فبعدما كنّا نعتقد أنّ المنظور العلمي والحداثي هو الذي يُخرج الإنسان من بربريته القديمة، اتّضح أنّه أوصلنا إلى بربرية جديدة. وفي هذا السياق، يأتي فيروس كورونا نتيجة لأزمة عميقة في النموذج الغربي الذي تمّت عولمته بكلّ الطرائق ليشمل العالم غير الغربي" [51].

وهي دعوة صريحة لإعادة النظر في المنظومة الفكرية والعلمية والسياسية وفي البراديغم الحداثي، الذي كشف عن قصوره في التنبؤ بالمستقبل لتفادي الأزمات، يقول الابستيمولوجي إدغار موران " يتكشّف لنا اليوم أنّ المستقبل غير قابل للتنبؤ، نتمنّى أن يكون هذا عاملاً لتجديد السياسة وحماية الكوكب، ومن أجل أنسنة المجتمع : إنه وقت تغيير السبيل" [52].

يبقى بحث أزمة كورونا في إطار ابستيمولوجيا الأزمات ضرورة ملحة وذات أهمية بالغة، في ظل تعدد أزمات القرن الواحد والعشرون، بالنظر إلى دور المساءلة الابستيمولوجية في تاريخ العلم وخصوصيات الأزمة، خاصة بعد تقارير منظمة الصحة العالمية التي كشفت عن التحويرات الجديدة لفيروس كورونا وبروز سلالات جديدة ، والتي تطرح مسألة فعالية اللقاحات المصنعة، علاوة على التعقيدات الحديثة الناجمة عن الاصابة بفيروس السلالة الهندية والمسماة بالفطريات السوداء أو الصفراء التي ظهرت في الهند، مما يطيل في عمر الأزمة، ويدعو إلى مضاعفة جهود العلماء في البحث العلمي بعيداً عن التوجهات السياسية والأيديولوجية .

الهوامش :

[1] – محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط6 ، بيروت، لبنان، 2006 ، ص 23

- بول ريكور، هل الازمة ظاهرة على نحو خاص، تر: عومرية سلطاني، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد36 أبريل 202، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص120 -https://omran.dohainstitute.org/ar/Pages/JournalHome.aspx،

[2] - Sonja A. Rasmussen, et al, (2020). Coronavirus Disease 2019 (COVID-19), p 01

[3] - B. Coutard, et al, (2020), The spike glycoprotein of the new coronavirus 2019, p 01

[4]- Sonja A. Rasmussen, et al, (2020) p 278 [5]

[5] مجموعة من الباحثين، (فلسفة الجائحة) كورونا من منظور فلاسفة العصر، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 2020 ص09 www.couua.com

[6]- إنريكا بوريكيتتي ولوكا دي آوريا : فيروس كورونا العدو غير المرئي: التهديد العالمي.. نموذج الخوف وعسكرة البلاد ، https://studies.aljazeera.net/ar/article/4952 تاريخ الولوج 2021/05/10

إدغار موران: حول جائحة الكورونا والعزل الصحي والعلم والعولمة ومستقبل الإنسانية ،ترجمة: صالح محفوظي، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 0202 ، www.couua.com ص32 [8]

نقلاً عن جريدة إيلاف ، منظمة الصحة: السياسة "تسمم" التحقيق في مصدر كوفيد-19، [9]
https://elaph.com/Web/News/2021/05/1329719.html?utm_source=Viral&utm_medium=Email&utm_content=Heading&utm_campaign=Newsletter

د. محمد راغب عيسى، دور الفيزياء في مكافحة فيروس كورونا المستجد، نشرة منظمة المجتمع العلمي العربي، العدد 18 السنة العاشرة ،11ماي 2021، ص 05 [10]

المرجع نفسه ، الصفحة نفسها. [11]

- سوزان عابد، تداعيات الجائحة، (رؤى تحليلية ونقدية لتداعيات كورونا لعام 2020، مكتبة الاسكندرية ، مركز الدراسات الاستراتيجية 2020 ،ص01 [12]

زهير الخويلدي، التفلسف في زمن الكورونا، حوارات فلسفية حول الجائحة المستجدة، الناشر رقمنه الكتاب العربي، ستوكهولم السويد، ط1 ، 2021 ، ص09 [13]

فرانسيس أ. بير وروبرت هاريمان ، (جائحة فيروس كورونا المستجد) كوفيد- 19وإبستيمولوجيا الكوارث التجميع والتصميم والاحتراز، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق ، ص48 [14]

المرجع نفسه والصفحة نفسها. [15]

بول ريكور، هل الازمة ظاهرة على نحو خاص، تر: عومرية سلطاني، مرجع سابق ، ص 124 . [16]

محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص23 - [17]

ولد الحدوشية بشير ، مقاربة لفلسفة العلم عند برتزند راسل، مجلة مقاربات فلسفية ،مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، المجلد الاول العدد 04 : ديسمبر 2017 ص 256 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41036 [16]

سامية بن يحي: كورونا الدرس الآسيوي للعالم https://www.raialyoum.com/index.php تاريخ الولوج 2021/05/09 [19]

فرانسيس أ. بير وروبرت هاريمان، مرجع سابق ، ص ص 48، 49 [20]

غزافييه بافي، ما الذي تكشفه لنا الفلسفة عن وباء فيروس كورونا ترجمة: مرسلي لعرج، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 2020 ص 52 www.couua.com رابط المقال https://lepetitjournal.com/lepetitjournal-singapour-717 [18]

زهير خويلدي ، مرجع سابق ، ص، 05 [22]

وليد أحمد الفرشيشي ،، كورونا ونهاية العالم: ماذا قال الفلاسفة؟ (https://chakchouka-times.com ، تاريخ الولوج 2021/05/08 [23]

اليزيد جميلة، قراءة في الابستيمولوجيا المعاصرة: العلم من منظور جديد، ، مجلة مقاربات فلسفية ،مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، المجلد الاول العدد 04 ديسمبر2017 ص272 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41037 [19]

زهير خويلدي، مرجع سابق، ص 09 [25]

أ.د. محمد أبطوي ، متن المؤلفات العربية في الأؤبئة : قائمة أولية مع تعاليق مختصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، يونيو 2020 [26]

زهير خويلدي، مرجع سابق ، ص 10 [27]

المرجع نفسه، الصفحة نفسها. [28]

المرجع نفسه، الصفحة نفسها. [29]

وليد أحمد الفرشيشي ،، كورونا ونهاية العالم: ماذا قال الفلاسفة؟ https://chakchouka-times.com تاريخ الولوج 2021/05/07 [30]

المرجع نفسه https://chakchouka-times.com تاريخ الولوج 2021/05/07 [31]

المرجع نفسه https://chakchouka-times.com ، تاريخ الولوج 2021/05/07، ينظر: زهير خويلدي، مرجع سابق ، ص 33 [32]

المرجع نفسه https://chakchouka-times.com ، تاريخ الولوج 2021/05/07، ينظر: زهير خويلدي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها. [33]

سهيلة هادي، تداعيات مواجهة كورونا واستراتيجيات مواجهتها، مركز البيان للدراسات و التخطيط، 2020، ص03 [34]

قوعيش جمال الدين، أخلاقية المعرفة العلمية-قراءة في الأزمة راهنا ، مجلة مقاربات فلسفية ،المجلد 1، العدد، 1، 2014 ص133 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/16627 [35]

[36] سوزان عابد، مرجع سابق، ص 12

[37] فريدة فلاك، أرقام وإحصائيات حول أزمة كورونا الحديثة وتداعياتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم "الولايات المتحدة الأمريكية والصين أنموذجا " مجلة التمكين الاجتماعي،المجلد02 ،العدد02 ، جوان2020، ص33

[38] مجموعة من المؤلفين، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لجائحة كوفيد 19في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاسلامي، (الآفاق والتحديات)، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسرك) مايو 2020 ، ص03

[39] فريدة فلاك، مرجع سابق، ص 61

[40] فريدة فلاك، مرجع سابق، ص 61

[41] . Espacemanager. (2020, 04 04). Prédictions de Jacques Attali face au Coronavirus. Consulté le 11 29, espacemanager, sur espacemanager: https://www.espacemanager.com/predictions-de-jacquesattali- face-au-coronavirus.html

[42] زهير خويلدي، مرجع سابق ، ص 14

[43] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[44] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إدغار موران: حول جائحة الكورونا والعزل الصحي والعلم والعولمة ومستقبل الإنسانية ،ترجمة: صالح محفوظي، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 0202 ، www.couua.com ص35

[45] سوزان عابد، مرجع سابق، ص13

[46] إدغار موران: حول جائحة الكورونا والعزل الصحي والعلم والعولمة ومستقبل الإنسانية ،ترجمة: صالح محفوظي، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 0202 ، www.couua.com ص35

[47] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[48] موسى أميطوش ، سامية سكاي، أثار جائحة كورونا على أساتذة وإداري التكوين المهني (دراسة ميدانية)، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 04 2 ديسمبر 2020 ص 254

[49] اليزيد جميلة، قراءة في الابستمولوجيا المعاصرة: العلم من منظور جديد، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد04 العدد01 ، 2017، ص273 https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41037

[50] إدغار موران ، فلنُغير السبيل دروس فيروس كورونا تر: عبد الكريم عنيات، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق ص143

[51] المرجع نفسه ، ص144

[52]

قائمة المراجع :

[1]-إنريكا بوريكيتتي ولوكا دي آوريا : فيروس كورونا العدو غير المرئي: التهديد العالمي.. نموذج الخوف وعسكرة البلاد ، https://studies.aljazeera.net/ar/article/4952 تاريخ الولوج 2021/05/10

2- إدغار موران: حول جائحة الكورونا والعزل الصحي والعلم والعولمة ومستقبل الإنسانية ،ترجمة: صالح محفوظي، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 0202 www.couua.com

3 - بول ريكور، هل الازمة ظاهرة على نحو خاص، تر: عومرية سلطاني، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد36 أبريل 202، المركز العربي للأبحاث ودراسة ، السياسات، https://omran.dohainstitute.org/ar/Pages/JournalHome.aspx -

4- زهير الخويلدي، التفلسف في زمن الكورونا، حوارات فلسفية حول الجائحة المستجدة، الناشر رقمنه الكتاب العربي، ستوكهولم السويد، ط1 ، 2021 ، ص09

5- سوزان عابد، تداعيات الجائحة، (رؤى تحليلية ونقدية لتداعيات كورونا لعام 2020، مكتبة الاسكندرية ، مركز الدراسات الاستراتيجية 2020 .

6 - سامية بن يحي: كورونا الدرس الآسيوي للعالم https://www.raialyoum.com/index.php تاريخ الولوج 2021/05/09

7 - سهيلة هادي، تداعيات مواجهة كورونا واستراتيجيات مواجهتها، مركز البيان للدراسات و التخطيط، 2020 .
8 – غزافييه بافي، ما الذي تكشفه لنا الفلسفة عن وباء فيروس كورونا ترجمة: مرسلي لعرج، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 2020 www.couua.com رابط المقال https://lepetitjournal.com/lepetitjournal-singapour-717
9- فرانسيس أ. بير وروبرت هاريمان ، (جائحة فيروس كورونا المستجد) كوفيد- 19وإبستيمولوجيا الكوارث التجميع والتصميم والاحتراز، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، العدد36 أبريل 202، المركز العربي للأبحاث ودراسة ، السياسات.
https://omran.dohainstitute.org/ar/Pages/JournalHome.aspx
10- فريدة فلاك، أرقام وإحصائيات حول أزمة كورونا الحديثة وتداعياتها على الاقتصاديات الكبرى في العالم "الولايات المتحدة الأمريكية والصين أنموذجا " مجلة التمكين الاجتماعي ،المجلد02 ،العدد02 ، جوان2020 .
11- قوعيش جمال الدين، أخلاقية المعرفة العلمية-قراءة في الأزمة راهنا ، مجلة مقاربات فلسفية ،المجلد 1، العدد، 1، 2014 .
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/16627
12- اليزيد جميلة، قراءة في الابستيمولوجيا المعاصرة: العلم من منظور جديد، ، مجلة مقاربات فلسفية ،مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، المجلد الاول العدد 04 : ديسمبر 2017. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41037
13- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط6 ، بيروت، لبنان، 2006.
14- محمد راغب عيسى، دور الفيزياء في مكافحة فيروس كورونا المستجد، نشرة منظمة المجتمع العلمي العربي، العدد 18 السنة العاشرة ،11ماي 2021.
15- محمد أبطوي ، متن المؤلفات العربية في الأوبئة : قائمة أولية مع تعاليق مختصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، يونيو 2020 .
16- مجموعة من المؤلفين ، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لجائحة كوفيد 19في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاسلامي، (الآفاق والتحديات)، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسرك) مايو 2020 .
17- مجموعة من الباحثين، (فلسفة الجائحة) كورونا من منظور فلاسفة العصر، كتب كوة الرقمية - الكتاب 6 / ماي 2020 . www.couua.com
18- موسى أميطوش ، سامية سكاي، أثار جائحة كورونا على أساتذة وإداري التكوين المهني (دراسة ميدانية)، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 04 2 ديسمبر 2020 .
19- ولد الحدوشية بشير ، مقاربة لفلسفة العلم عند برترند راسل، مجلة مقاربات فلسفية ،مخبر الفلسفة والعلوم الانسانية، المجلد الاول العدد 04 : ديسمبر 2017. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/41036.
20- وليد أحمد الفرشيشي ،، كورونا ونهاية العالم: ماذا قال الفلاسفة؟ (https://chakchouka-times.com ، تاريخ الولوج 2021/05/08
21- جريدة إيلاف ، منظمة الصحة: السياسة "تسمم" التحقيق في مصدر كوفيد-19،
https://elaph.com/Web/News/2021/05/1329719.html?utm_source=Viral&utm_medium=Email&utm_content=Heading&utm_campaign=Newsletter
22-- B. Coutard, et al, (2020), The spike glycoprotein of the new coronavirus 2019 .
23-Espacemanager. (2020, 04 04). Prédictions de Jacques Attali face au Coronavirus. Consulté le 11 29, espacemanager, sur espacemanager: https://www.espacemanager.com/predictions-de-jacquesattali- face-au-coronavirus.html
24- Sonja A. Rasmussen, et al, (2020). Coronavirus Disease 2019 (COVID-19).